البيمارستان ودوره في الرعاية الصحية ببلاد الحجاز

عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

إعداد الباحث:

وليد كمال شعبان إسماعيل

يناير ٢٠١٦

البيمارستان ودوره في الرعاية الصحية ببلاد الحجاز

عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

إعداد الباحث:

وليد كمال شعبان إسماعيل

مقدمة:

لعبت البيمارستانات[١] في الإسلام دوراً مهماً في البلاد الإسلامية حيث قدمت خدمات كثيرة وجليلة منها: تعليم مهنة الطب، وصناعة الأدوية، وكذلك نفي الخرافات عن مهنة الطب، إلى جانب تقديم الخدمات للجيوش العسكرية الإسلامية، حيث الاعتناء بالجرحى والمصابين، وكذلك رفع المستوى المادي للأطباء، إلى جانب تقديم الرعاية الصحية لجميع المرضى من القادرين وغيرهم[٢].

ويعتبر البيمارستان مستشفى عام يعالج فيها جميع الأمراض من: باطنية، وجراحية، ورمدية، وعقلية، وغيرها[٣]، وقد وقف البيمارستان في أغلب الأحيان على مداواة مرضى المسلمين وفقرائهم على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وأمراضهم، بل انتفعوا به بالسكنى كذلك، لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم، بل يستمرون به إلى أن يتم لهم الشفاء الكامل[٤].

ويعد الاهتمام بالرعاية الصحية للأفراد من خلال بناء البيمارستانات، وتزويدها بكل أنواع الخدمات من: أطباء، ودواء، ومسكن، ومأكل ومشرب، ورقابة، وغير ذلك؛ دليل قوي على مدى رقي الحضارة الإسلامية إبان تاريخ العصور الإسلامية.

والحضارة الإسلامية حضارة متكاملة ومتوازنة من الناحية المادية والروحية، استمدت شرعيتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولأن الشريعة الإسلامية اهتمت بصحة الإنسان وجسده وفكره؛ فقد دأب المسلمون على بناء وعمارة البيمارستانات، والتي أنشأها الحكام والسلاطين المسلمين والقادرين من المسلمين وطوروها وراعوا فيها الجوانب النفسية والأخلاقية والصحية والتعليمية– وكل ذلك لحماية المجتمع من الأمراض وعلاج المصابين.

ويعد العصر المملوكي أحد العصور الإسلامية الزاهرة حضارياً والناهضة علمياً وثقافياً، حيث شهدت مصر وبلاد الشام والحجاز إبان هذا العصر نشاطاً ثقافياً واسعاً مهدت له الظروف السياسية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في شرقه وغربه بداية من منتصف القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي)، فقد جعلت منه مقصد العلماء وطلاب العلم، وخير دليل على ذلك الازدهار وتلك النهضة ما خلفه لنا هذا العصر من إرث حضاري في شتى نواحي المعرفة الإنسانية عامة والطب وميادينه وإبداعات رجاله خاصة.

وكان لانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات ووقوع الكثير من الكوارث الطبيعية إلى جانب الحروب وما تتركه من جروح؛ حاجة ماسة للاهتمام بالبيمارستانات وتطويرها، حيث حاجة الناس إلى الأطباء والعلاج، بل تعدى ذلك إلى متابعة المرضى، وتتبع أحوالهم بعد خروجهم من البيمارستان، حيث كان ذلك من الخدمات الصحية التي برزت إبان العصر المملوكي، فقد كان يصرف لكل مريض وقت خروجه من المارستان كسوة وعقاقير، وبعض الأموال التي يستعين بها حتى معافاته، وهذا ما سيؤكد عليه البحث في صفحاته القادمة.

ولقد عرفت الحضارة الإسلامية الطب والرعاية الصحية منذ فجر الإسلام، حيث ذكرت الأحاديث النبوية المشرفة الكثير حول الداء والدواء، فقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) أحاديثاً كثيرة حول ذلك، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال:" ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء[٥]، كما عرف الحجاز البيمارستانات على مر العصور، لكنها كانت بيمارستانات متنقلة، حيث كان معروفا لدى خلفاء المسلمين وملوكهم وسلاطينهم وجود مستشفى متنقل مجهز بجميع ما يلزم المريض من مختلف الأدوية والأدوات الطبية المستخدمة في علاج المرضى، وقد عرف هذا النوع كثيرا قبيل العصر المملوكي، وكان يأتي غالبا بصحبة ركب الحاج ولا سيما ركب الحاج المصري، وكان يصاحبه طبي عارف، وجراح حاذق، وكحال، فضلا عن مختلف الأدوية والمراهم، وبذلك أسهم هذا البيمارستان المتنقل في تقديم الرعاية الصحية لأهالي المدينتين المقدستين والحجيج قبل معرفة الشكل المنظم للبيمارستانين المستنصرين[٦].

ومن الجدير بالذكر أن الواقفين اهتموا ببناء البيمارستانات بالحجاز على اعتباره وجها من وجوه الارتقاء بالحياة الاجتماعية، وأثر الأوقاف كان جليا على بيمارستان مكة والمدينة، حيث قامت أوقاف مصر بالدور الأكبر في علاج المرضى بالمدينتين، كما ارتقت بذلك مهنة الطب، وازدهرت العلوم الطبية والصيدلة وما يتعلق بهما، كما حددت بعض حجج الوقف ما يصرف على مصالح البيمارستان، من: ترميم، وعمارة، ووظائف، وغيرها، كما وضحت عدم المفارقة في العلاج، حيث كان مكفولا للجميع من سكان الحرمين وغيرهم.

ولقد صنفت البيمارستانات حسب نوع البناء إلى:-

١-بيمارستانات ثابتة:

وهي ما كان بناؤها في مكان خاص معين[٧] وكان هذا النوع موجودا في معظم البلاد الإسلامية ولاسيما في العواصم الكبرى كدمشق والقاهرة وبغداد والحجاز، وعادة ما قسم إلى قسمين: أحدهما خاص بالرجال، والآخر خاص بالنساء[٨]، بل قُسّم كل مشفى منهم إلى عدة قاعات: منها قاعة لأمراض البطن، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة والعيون، وقاعة للتجبير، بل قسمت كل قاعة إلى قاعات أخرى صغيرة، فمثلا أمراض البطن، قسمت إلى المحمومين(المصابون بالحمى)، وإلى مبرودين (المصابون بنزلات البرد)، ولمن لديه إسهال وغير ذلك، كما وجد لكل قسم كبير من ثلاثة إلى أربعة أطباء، حسب اتساع القسم، كما كان لكل قسم رئيس؛ يشرف على شئونه، وكان من الضروري تواجد الأطباء يوميا، كما زود بصيدلية وعليها مسئول يسمى مهتار[٩] بل قام البيمارستان بتجهيز ودفن من يمت به، بل تعدى ذلك لمن توفي خارجه[١٠]، ومن ذلك يتضح أن البيمارستان كان بمثابة مستشفى عام لعلاج جميع الأمراض.

٢- البيمارستانات المتنقلة :

وقد وجد نوعان من البيمارستانات المتنقلة:

أ- البيمارستان المحمول أو المتنقل، وقد أنشئت في العصر العباسي حيث كان يتحرك من مكان لآخر خاصة في الحروب والكوارث، وكان معروفا لدى خلفاء المسلمين وسلاطينهم، وكان بمثابة مستشفى مجهز بجميع ما يحتاجه

المصاب من مختلف الأدوية، وما يلزم من أطباء، وصيادلة، أطعمة، وأشربة، وابتكرت خصيصا لمواجهة انتشار الأمراض والأوبئة والأمراض في المناطق البعيدة عن العاصمة والخالية من بيمارستانات ثابتة[١١].

ب- بيمارستانات السبيل(الحجاج)، ووجد هذا النوع من البيمارستانات المتنقلة إبان العصر المملوكي، ولاسيما في موسم الحج؛ لأن كثيرا من الحجاج كان يأتي بصحبة محمل الحج المصري أو الشامي، وكان غالبا ما يصحبه أطباء ماهرون، فضلا عن مختلف الأدوية، بل تعدى اهتمامه إلى الحجيج عامة، وسكان المدينتين المقدستين، فكان يرسل بصحبة المحمل جملين محملين بالأدوية لسكان مكة والمدينة، فكان قدوم المحمل المصري خير وبركة على الحجاز بأسره[١٢].

ويذكر البحث أن اهتمام سلاطين المماليك بمحمل الحج كان كبيرا، حيث زود بالأدوية والعقاقير الطبية إلى جانب أمهر الأطباء والكحالين والمجبرين، وعادة ما كان يأتي بصحبة الركب طبيب صحة، وجراح، وطبيب عيون، ثم اقتصر في فترات متأخرة السفر على الجرائحي[١٣] دون الحكيم والكحال والمجبر، وإن كان بصحبته جميع ما يلزم من أدوية أي كان بمثابة طبيب عام، ووجد معه غلمان كمساعدين، وعين له راتبا كبيرا[١٤].

وقد أكد على وجود مستشفى متنقل ابن بطوطة، حيث ذكر أنه بعد أن خرج من مكة بعد أدائه فريضة الحج وجد ركبا من العراقيين والخراسانيين والأعاجم بجمال ترفع الأدوية والأطعمة والأشربة وبعض الأطباء والصيادلة[١٥].

بل تعدت مظاهر الرعاية الصحية مع المحمل المصري الإنسان إلى الدواب، فقد وجد البيطار(طبيب الدواب)، واشترط فيه أن يكون عارفا بأمراض الدواب وأحوالها، وأن يكون خبيرا في الطب البيطري، ووجد معه مساعدون، كما عُيّن له راتبا قيل إنه تعدى الثلاثمائة دينار[١٦].

-ومن البيمارستانات بالحجاز إبان العهد المملوكي:

-البيمارستان المستنصري بمكة:

وجد بمكة المكرمة **البيمارستان المستنصري** والذي يقع بالجانب الشمالي من المسجد الحرام قرب باب الزيارة، وهو من تعمير ووقف الخليفة المستنصر بالله العباسي، وقد وقفه سنة٦٢٨هـ/١٢٣٠م على مرضى المسلمين عامة- أي سكان مكة والقادمين إليها والمجاورين بها، وظل هذا البيمارستان قائما يؤدي عمله حتى أهمل وخرب فترة، لكن في سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م أمر الأشرف شعبان بتجديده، ووقف عليه أوقافا يصرف ريعها سنويا على مصالحه، وقد بلغ جملة ما أنفقه عليه سنويا ما يزيد عن ثمانية وعشرين ألفا وثمانمائة وخمسون درهما نقرة تصرف على مصالحه سنويا[١٧].

ولقد خصص الأشرف شعبان للبيمارستان المستنصري كل ما يحتاجه من نفقات جارية، حددته حجة وقفه، حيث خصص مبلغ خمسة عشر ألف ومائتي درهم؛ ثمن

دقيق وقمح جملته حوالي ستة وسبعون إردبا وطحنه فإن انخفض السعر اشترى بباقي المبلغ دقيقا أو قمحا، كما ذكرت الحجة أنه يلزم توزيع نصف إردب يوميا من الثالث عشر من ذي الحجة حتى آخر المحرم في السنة التالية (ثمانية وأربعون يوما)، حيث يوزع أربعة وعشرون إردبا، وفي حالة إزدياد الدقيق عن ستة وسبعين إردبا؛ نتيجة انخفاض الأسعار أضيفت الزيادة إلى هذه المدة ليستفيد منها أكبر عدد من المرضى والفقراء، أما بقية العام يصرف الناظر في كل يوم سدس إردب، بحيث تطبخ وتوزع على المرضى والضعفاء وذوو الحالات المزمنة المقيمة بالمارستان، كما خصص مبلغ سبعمائة وعشرين درهما سنويا للسمن الذي يطبخ به الدقيق، أي بواقع ستون درهما شهريا[١٨].

وقد ذكر ابن إياس في حوادث سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أنه عمر على يد السلطان قانصوه الغوري، حيث أمر خاير بك بترميمه وعمارته، وأُنفق عليه أموالا كثيرة[١٩].

أيضا وقف بكتمر الساقي[٢٠]على مصالحه أراض زراعية بمصر في منطقتي باب اللوق والبحر الأعظم حددتها لنا حجة وقفه المؤرخة سنة٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وزيد فيها وأن تعثر الصرف على البيمارستان، يصرف ريع الموقوف على مصالح الحرمين الشريفين حسب ما يراه ناظر الوقف[٢١] .

وفي أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وقف الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني[٢٢]، بعض الأماكن المزروعة بالحجاز على شئون البيمارستان[٢٣].

كما قام أمير مكة الشريف حسن بن عجلان (٧٩٧/٨٢٩هـ/١٣٩٤-١٤٢٥م) بعمارة ما تخرب من البيمارستان المستنصري سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، كما زاد فيه

إيوانين: أحدهما في الجهة الشمالية، والآخر في الجهة الغربية، وأحدث فيه صهريجا ورواقا، وأدخل فيه البئر التي كان يستسقى منها للميضأة الصرغتمشية، ووقف جميع ما بناه على الضعفاء والمجانين، كما وقف على مصالحه ريع الدار الموقوفة، والمعروفة بدار الإمارة عند باب بني شيبة، وكذلك بعض الأراضي المزروعة، كما حدد أجور من فيه[٢٤].

ومن الجدير بالذكر أن الشريف حسن بن عجلان أوصى بأن لا يخرج من البيمارستان أحد من المرضى إلا بعد التأكد من تمام شفائه، وعندما يخلو البيمارستان من المرضى، يصرف الريع الموقوف على مصالحه على فقراء مكة، ومتى عاد المرضى عاد الانتفاع لهم، وجعل النظر في ذلك لولديه بركات وأحمد ينفردان برعاية ذلك مدة حياتهما لا يشاركهما أحد، ويتصرفان بذلك مجتمعين ومتفرقين، ثم من بعد وفاتهما للأرشد من ذريته(الذكور منهم)[٢٥]، بل قام هذا الشريف سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م أيضا بتسبيل البيمارستان المستنصري، ووقف عليه غلة بدار الإمارة تصرف على مرضاه، كما زاد في البيمارستان وأكثر النفع فيه، ووقف عليه منافع كثيرة[٢٦].

كما أمدتنا حجة وقف الأشرف برسباي والمؤرخة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م بمعلومات حول صرف مقدار الثمن المعادل لثلاثة أسهم من أربعة وعشرين سهما من الأراضي والدور الموقوفة على مصالح المارستان الكائن بمكة المكرمة[٢٧].

ومن الجدير بالذكر أن المجاور عمر بن أحمد الخراز[٢٨] قام سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م بتوسيع جانبا منه، كما زاد فيه جناحا خاصا بالموتى من حيث حفظ جثثهم حتى دفنها، كما أدخل فيه الماء العذب، وأمده بالطعام طيلة حياته، وهذا

الصرف من ريع الموقوف على مصالح البيمارستان من أموال ومزارع موجودة بمنطقتي المعلاة والمعابدة بمكة، وكذا منطقة وادي مر بمكة[٢٩].

كما أوقف محمد بن عبد الرحمن بن الشهاب المجاور، الذي قدم مكة تاجرا من بلاد المغرب، واستقر بها طيلة حياته بعض الأماكن بمكة على خدمة المارستان المستنصري، واستمر هذا الوقف حتى وفاته سنة ١٠١٧هـ/١٦٠٨م، وكذا بعد مماته[٣٠].

-التنظيم الإداري للبيمارستان المستنصري:

عرفت البيمارستانات الإسلامية عامة والبيمارستان المستنصري خاصة تنظيما إداريا محكما يضمن لها استمرارية الأداء، وينأى بها عن عشوائية الخدمة والتنظيم، وقد قسم البيمارستان المستنصري إلى أقسام إدارية، منها:-

-ناظر البيمارستان:

كان للبيمارستان الإسلامي عموما ناظرا يشرف على إدارته وتنظيمه ومن حقه العمارة والتنمية[٣١]، وكانت هذه الوظيفة من الوظائف الديوانية العظيمة التي يعين صاحبها مباشرة عن طريق السلطان أو نائبه، وعادة ما يكون من أصحاب الهمم العالية من القادرين على التنظيم والإدارة والمراقبة، وعد القلقشندى هذه الوظيفة من أجل الوظائف وأعلاها[٣٢].

وعرف البيمارستان المستنصري ناظرا يشرف على شؤونه وأوقافه، وذكرت المصادر عددا من النظار الذين أشرفوا على ذلك خلال الحكم المملوكي، ومنهم: الشيخ محمد بن علي[٣٣]، شيخ رباط الربيع، والشيخ محمد بن سالم البلدي[٣٤]، وقيل إن

هذا الشيخ رغم رعايته لوقف المارستان إلا أنه أوقف هو الآخر أراض ودور بالشام على البيمارستان المستنصري[٣٥]، كذلك الناظر إبراهيم بن مصلح[٣٦]، تولى نظارته نيابة عن السيد بركات بن عجلان، فسار فيه أحسن سيرة، وكان يهتم فيه بالمرضى الفقراء خاصة، بل قيل إنه كان يجمع الفقراء عنده على الطعام كل أسبوع مرة أو مرتين، واشتهر بأفعاله الخيرة بالمارستان[٣٧]، كذلك تولى إبراهيم بن محمد الكردي[٣٨] مشيخة المارستان، بل وجدد في أوقافه مكانا مجاورا لباب الدربية، وقيل إنه اشتراه من حاصل ريع أراض له، وذلك سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م[٣٩].

-رئيس الأطباء[٤٠]:

ووجد من بين الوظائف الإدارية بالبيمارستانات الإسلامية عموما وظيفة رئيس الأطباء، حيث كان لكل بيمارستان رئيسا للأطباء عارفا بالطب ويقدم النصح للأطباء وكذلك للمرضى[٤١]، كما وجد كذلك لكل قسم من أقسامه رئيسا، فرئيس الأمراض الباطنية، ورئيسا للجراحين، ورئيسا للكحالين، وغيرهم وعليهم جميعا الاحتياط والمسئولية عن من تحت أيديهم من الأطباء والمرضى[٤٢].

وقد أشارت حجة وقف الأشرف شعبان بمثل هذه الوظيفة، حيث ذكرت وجود حكيما للمارستان، وذكرت أنه يجب توقيره ورعايته، وحددت له الوثيقة أكبر مبلغ من بين الموظفين بالمارستان، حيث ذكرت مبلغ ألفين وأربعمائة درهم سنويا؛ نظير قيامه بمداواة المرضى والجرحى بالمارستان ورئاسته للأطباء[٤٣].

-الأطباء والصيادلة بالبيمارستان:

وجد بالبيمارستان عددا كبيرا من الأطباء الذين يمارسون مهنة الطب بالأقسام المختلفة، وكان يتمتع الطبيب عموما بالبيمارستان الإسلامي بخصال وآداب منها: معرفته بالطب وأحواله والأمراض الحادثة فيه وأسبابها وأعراضها وكذلك الأدوية النافعة لها فلا يعمل بالمهنة من ليست له معرفة به فمطلوب فيهم المعرفة والتجربة، وعليه أن يكون عارفا بحال المريض في حال صحته وما أعتاده من الأطعمة والأدوية حتى يستطيع مباشرة مرضه ودوائه، كذلك يجب أن يتمتع ببشاشة الوجه وطلاقته مع مريضه، وأن يكون أمينا على أسرار المرضى[٤٤]، حيث وجد بالبيمارستان المستنصري عددا من الأطباء يشرف عليهم رئيس كل قسم من الأقسام، ومن ذلك ما ذكره السخاوي أنه كان من جملة أطبائه المهرة، الطبيب شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الطيب الفاضل، الذي درس الطب، ثم عالج المرضى بالمارستان[٤٥].

كما وجد كذلك الكثير من الجراحين والكحالين، الذين درسوا بالمارستان المكي، ودرسوا به ومنهم: محيي الدين أحمد بن الحسين بن تمام، الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس من مصر؛ للمشاركة في علاج مرضى البيمارستان المكي مع أقرانه من الأطباء، وأوكل اليه النظر في أموال المارستان، وإدارة شئونه وأحواله[٤٦].

وتواجد به أيضا من الأطباء المجبرين بالمارستان المكي الطبيب الماهر علي بن مسعود بن فيروز البغدادي، نزيل مكة، وقد اشتهر بمهارته في أمراض العظام، ومكث مدة بالبيمارستان المكي حتى وفاته سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[٤٧].

كذلك وجد من الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب ودرسوا بالمارستان المكي، الطبيب المجاور إبراهيم بن أحمد الأردبيلي، والذي توفي سنة ٧٧١هـ/١٣٦٠م[٤٨]،

كما وجد الطبيب محمد بن إسحاق الشيرازي، والذي توفي سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، وكان بارعا في الطب وتدريسه[٤٩]، كما أسهم الطبيب أبو عثمان المغربي[٥٠] في الرعاية الطبية، حيث قام بدور كبير في ذلك، حتى صار من الأطباء المشهورين بمكة إبان الحكم المملوكي[٥١]، وبرع الطبيب محمد بن عبد الله الخضري المجاور، وظل يعمل ويدرس الطب بالمارستان المكي حتى وفاته سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م[٥٢]، كذلك وجد الطبيب الماهر لطف الله بن يعقوب بن إسماعيل الهمذاني، وذكر السخاوي أنه عالج أخاه أثناء إقامته بمكة، وتم له الشفاء على يديه[٥٣]، كذلك كان من بين الأطباء المهرة والذين درسوا بالبيمارستان المكي وكان حجة في الطب محمد بن عبد الله بن محمد الكازروني(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)[٥٤].

والذي يؤكد كلام البحث من كون أغلب أطبائه من المهرة، من ذكر المصادر المعاصرة لنجاح أصعب العمليات الجراحية في ذلك الوقت وهي قدح العين(فصد ما بها من ماء) فكثيرا ما أشارت المصادر إلى أن فلانا من الناس قد أضر، ثم قدح له فأبصر[٥٥].

كما وجد الصيدلي بالبيمارستان الإسلامي عموما، حيث كان للشرابخاناه رئيا يسمى شيخ صيدلي البيمارستان[٥٦].

-الديوان:

وقد وجدت بالبيمارستانات الإسلامية عددا كبيرا من الموظفين مسئولون عن العمل به وتسجيل الأوقاف والهبات في سجلات خاصة به، وكذلك مسئولون عن رواتب الأطباء وشراء العقاقير والأدوية وبعض الآلات الطبية وغير ذلك[٥٧].

وبالنظر في حجة وقف الأشرف شعبان يرى البحث أن الحجة ذكرت عددا من العاملين بالديوان، ومنهم:-

-أمين البيمارستان:

وقد وجد بالمارستانات الإسلامية وظيفة أمين البيمارستان، والذي كان يحفظ ثياب المرضى وأغراضهم فكان إذا دخل مريض للبيمارستان تنزع ثيابه وتودع أغراضه عند أمين المارستان، ويعطى ثيابا خاصة بالمارستان(٥٨).

-الشاهدان:

كان لانشغال الحكيم بأمر المرضى حاجة ماسة لتعيين من ينوب عنه في النظر في أحوال المرضى؛ لذلك أهتم الأشرف شعبان بتعيين شاهدين يحضران كل يوم ؛ لصرف ما يحتاجه المرضى من أدوية، حيث كانا يضبطا الأدوية والحواصل، وحددت الوثيقة لهم مبلغ ألف درهم سنويا، يقسم بينهما بالسوية(٥٩)، وقد اشترط فيهم الدين والأمانة، وكان أحدهما يتولى أمر الأدوية وحفظها ومسئولا عن صرفها حسب إذن الحكيم، والثاني هو الذي يتسلمها من مصادرها ويراجعها قبل وبعد الاستلام، ويقوم كذلك بالإشراف على المطبخ، وتوصيل الطعام للمرضى(٦٠).

-الفراشون:

عرفت البيمارستانات الإسلامية الفراشين من الرجال والنساء والمشرفين للخدمة بالبيمارستان(٦١) وفيما يخص البيمارستان المكي فقد نصت وثيقة الأشرف شعبان على تعيين ثمانية من الفراشين والفراشات، وحددت عملهم بأن كل واحد من هؤلاء الثمانية يتعهد برعاية وخدمة من بداخل البيمارستان من المرضى، والقيام بعملهم من

تنظيف بقايا الطعام والشراب، وغسل ما يحصل منهم من الأوساخ، وتنظيف المرضى، وملازمتهم، وحددت الوثيقة مبلغ ألفين وثمانمائة درهم توزع عليهم بالسوية(٦٢).

-سقاء المارستان:

نصت الوثيقة على وجود ساقي يسقي الماء العذب للمرضى بالبيمارستان، وحددت أجره مبلغ سبعمائة وستين درهما سنويا(٦٣).

-بواب المارستان:

ولم يغفل الأشرف شعبان من ضرورة وجود حارس للمارستان؛ ينظم الدخول والخروج، ويمنع المفسدين من دخوله، وحددت له مبلغ ثلاثمائة وستون درهما سنويا(٦٤).

-أمين الحواصل:

وتتضح مهمته كما جاء في الوثيقة من أنه كان يفرق الطعام والشراب على المرضى بالمارستان كل يوم على عادة أمثاله، وحددت له مبلغ ثلاثمائة وستين درهما سنويا(٦٥).

وقد حددت الوثيقة في مكان آخر منها نفقات للمارستان سنوية؛ لشراء الحطب والزيت واللحم والسكر والأشربة والأدوية وغيرها على النحو التالي:

-ثلاثمائة درهم ثمن شراء حطب(وقود)؛ يطبخ به الدقيق والسمن وغيرهما مما يحتاجه المرضى بالمارستان.

-أربعمائة وخمسين درهما ثمن زيت الزيتون وما يقوم مقامه؛ لإضاءة المارستان طول السنة.

-أربعة آلاف درهم تصرف على ثمن لحم للضعفاء بالمشفى، وكذا في شراء أدوية وأشربة وسكر وغيرها مما يحتاجه المارستان كل سنة.

- صرف خمسمائة درهم لناظر المارستان؛ للإنفاق على ما تقتضيه مصلحة المارستان من مكانس وأدوات نظافة كل سنة.

-حددت الوثيقة المبلغ النهائي للصرف على المارستان سنويا، حيث حددت مبلغ ثمانية وعشرون ألفا وثمانمائة وخمسون درهما[٦٦]، وقد ذكرها البحث مفصلة من خلال الجدول المقابل.

والذي يستدعي الانتباه في وثيقة الأشرف شعبان تحديد مجموعة من الفراشين والفراشات، وهو ما يوازي في وقتنا المعاصر وظيفة الممرضين والممرضات، حيث تخدم كل مجموعة شريحتها من ذكور وإناث، وهذا يجعل البحث يؤكد على تطور البيمارستانات في الحجاز إبان فترة العصر المملوكي، وتقديم كل جديد؛ لخدمة المرضى.

-وظيفة المحتسب:

ومن بين الوظائف بالديوان وظيفة المحتسب، حيث رتبت في البيمارستانات الإسلامية وظيفة المحتسب، والذي كان من مهامه إبان العصور الإسلامية المراقبة، حيث كان عمله بالبيمارستان الإشراف على الموظفين جميعهم، وكان يأمرهم بنظافة البيمارستان، وغسل قناديله وإشعالها، ويراقب بواب المارستان وغيره، ويعاقب من يخالف أو يقصر في أداء واجبه[٦٧]، كما اشترط المحتسب في الطبيب معرفته بأحوال الطب، وكذلك كان يحلف الكحالين بالحفاظ على أعين الناس، كما كان يمتحن المجبرون؛ ليتأكد من مهارتهم وكذلك الجرائحيون وغيرهم[٦٨].

وقد رتب السلطان قلاوون بالبيمارستان المنصوري[٦٩] عددا من المباشرين والأمناء يقومون بشراء ما يحتاجه البيمارستان، وكذلك ضبط ما يدخل إليه ويخرج منه[٧٠].

ولا يستبعد البحث وجود هذه الوظيفة من بين وظائف البيمارستان المستنصري المكي، رغم عدم ذكر ذلك في المصادر التي أمكن الاطلاع عليها.

-ملحقات البيمارستان:

وعادة ما كان يلحق بالبيمارستان ما يساعد على تقديم الرعاية الصحية به، ومن ذلك:

-سبيل ماء (صهريج):

غالبا ما وجد بالبيمارستانات الإسلامية صهريجا للمياه، يستخدم للشرب والطهارة، ومن ذلك ما قام به أمير مكة (الشريف حسن بن عجلان) بعمارة ما تخرب من البيمارستان المستنصري سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م وأحدث فيه صهريجا ورواقا، وأدخل فيه البئر التي كان يستسقى منها للميضأة الصرغتمشية[٧١]، كما أدخل به المجاور

عمر بن أحمد[٧٢] سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م كما أدخل فيه صهريجا للماء العذب، عم النفع به البيمارستان المكي[٧٣]، وقد ذكرت حجة وقف الأشرف شعبان الاهتمام بسقاء الماء العذب من هذه الصهاريج، حيث حدد مبلغ أجره سبعمائة وستين درهما سنويا لسقاء الماء العذب للمرضى بالبيمارستان المستنصري المكي[٧٤].

-الشرابخاناه (الصيدلية):

وتسمى بخزانة الشراب، وكانت تضم كثيرا من أنواع الأشربة والعقاقير الطبية إلى جانب المعاجين النفيسة والعطريات الفائقة[٧٥]، وقد كان لكل شرابخاناه مهتار يعرف بمهتار الشرابخاناه، وهو متسلم لحواصلها ومسئول عنها، وله مكانة عالية، وتحت يده غلمان يساعدوه في خدمته[٧٦].

-قاعة التعليم:

حيث وجد بالبيمارستانات الإسلامية ملحقا خاصا بتعليم مهنة الطب، وفيما يخص البيمارستان المستنصري وإن كانت المصادر لم تحدد وجود قاعة للتعليم، لكنها صرحت بوجود أطباء مارسوا مهنة الطب داخل البيمارستان ودرسوا به كذلك، ومن هنا استنبط البحث وجود مكان للتعليم داخل البيمارستان المستنصري المكي، ومن ذلك ما ذكره السخاوي أنه كان من جملة أطبائه المهرة، الطبيب شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الله الطيب الفاضل، الذي درس الطب، ثم عالج المرضى بالمارستان[٧٧]، كما وجد كذلك الكثير من الجراحين والكحالين، الذين درسوا بالمارستان المكي، ودرسوا به ومنهم: محيي الدين أحمد بن الحسين بن تمام، الذي

أرسله السلطان الظاهر بيبرس من مصر؛ للمشاركة في علاج مرضى البيمارستان المكي مع أقرانه من الأطباء[٧٨]، كذلك وجد من الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب ودرسوا بالمارستان المكي، الطبيب المجاور إبراهيم بن أحمد الأردبيلي، والذي توفي سنة ٧٧١هـ/١٣٦٠م[٧٩]، كذلك برع الطبيب محمد بن عبد الله الخضري المجاور، وظل يعمل ويدرس الطب بالمارستان المكي حتى وفاته سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م[٨٠].

-قسم خاص بدفن الموتى:

ووجدت بالبيمارستانات الإسلامية مكانا خاصا بدفن الموتى، وبالبيمارستان المستنصري قام المجاور عمر بن أحمد[٨١] سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م بتوسيع جانبا منه، كما زاد فيه جناحا خاصا بالموتى من حيث حفظ جثثهم حتى دفنها، وتم الصرف على ذلك من ريع الموقوف على مصالح البيمارستان من أموال ومزارع موجودة بمنطقتي المعلاة والمعابدة بمكة، وكذا منطقة وادي مر بمكة[٨٢].

وعلى الرغم من إنه لم تصل إلينا معلومات كافية عن حجم العمارة المملوكية في البيمارستان المكي، إلا أن المصادر أشارت إليه على أن البناء معروف كغيره من البيمارستانات المملوكية في مصر والشام، وأنه لا يقل بناءا وتنظيما عن المستشفيات الحديثة من الخدمة والنظافة والنظام، فكان إذا دخل مريض ينظر في مرضه، وتشخص حالته، ويعالج في القسم الذي يناسب حالته، ويتناول الأدوية والأغذية مجانا، ويمكث بالمارستان حتى يتم شفاءه[٨٣].

كذلك فإنه من المرجح أنه روعي فيه ما كان يراعى في غيره من البيمارستانات في العهد المملوكي من حيث: ضرورة تحضير الأدوية في وقتها وتخزينها لحين الحاجة إليها، وأن يصرف كذلك للمريض أدوية كاملة، كما وجد بها صهريجا كبيرا

للمياه، ولا نستبعد أنهم راعوا فيه حالة الجو في مكة في فصل الصيف فوجدت به مراوح من الخوص؛ ليستخدمها المرضى في التخفيف من حرارة الصيف، كذلك ربما حرصوا على وجود الطعام للمرضى، وعدم اجتماع المرضى بمرض معدي في حجرة أو طعام واحد، وغيرها من أساليب الرعاية الصحية التي لاغنى عنها بكل مارستان[٨٤].

ويضيف البحث أن الرعاية الصحية التي قدمها البيمارستان المستنصري لم تكن مقصورة على العيادة الداخلية للمرضى فقط، بل تعدته إلى الاهتمام بالمرضى خارج المارستان، فقد ذكر الشريف حسن بن عجلان في وقفه الذي أوقفه على المارستان، أنه أوقفه على الفقراء والمنقطعين والمرضى والمجاورين يأوون فيه وإليه علوا وسفلا، وينتفعون بالإقامة فيه، والارتفاق به انتفاع مثلهم بمثله، لا يُزعج أحد منهم ولا يخرج منه بغير رغبة منه، إلا بعد التأكد من حصول الشفاء التام له، فإذا خلا المارستان عاد الانتفاع بالوقف لفقراء المسلمين، فإن عاد المرضى عاد الانتفاع لهم، كما كان يجري الحال[٨٥].

كما تنبغي الإشارة إلى عدم الوصول إلى معلومات تفيد استخدام الموسيقى وبعض وسائل الترفيه في بيمارستان مكة إبان العصر المملوكي، رغم وجوده في بيمارستانات إسلامية أخرى كبيمارستان فارس الذي وجد فيه الأجواق الموسيقية التي تروح عن المرضى، وتسليهم عن طول فترة المكوث بالمارستان، وكذلك الأمر في مارستان دمشق، حيث كانوا يجلبون القصاص والمغنيين إلى قاعات المرضى، بل كان المؤذنون ينشدون على المآذن قبل الفجر بساعتين بأنغام شجية؛ تخفيفا لعناء سهر بعض المرضى، وربما كون ذلك لطبيعة مكة الدينية[٨٦].

لكن البحث استنبط من ذكر ابن فهد المكي نصا ذكر فيه قيام الأمير تغري برمش التركماني سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وفي سلطنة المؤيد شيخ بمنع المدائح النبوية التي كان يقوم بها المؤذنين في الحرم المكي ليلا[٨٧]، ويستنبط البحث أنها ربما كانت تقام هذه المدائح للتخفيف عن بعض المرضى، خاصة وأن البيمارستان ملاصق للحرم المكي.

ومن الجدير بالذكر أنه وجد بمكة من مارس مهنة الطب خارج البيمارستان كنوع من الرعاية الصحية، حيث قام الشيخ غياث الدين الأبرقوهي الشيرازي[٨٨](صاحب الرباط الشهير بمكة) بممارسة المهنة خارج البيمارستان ومداواة المرضى وانتفع به الناس، بل صارت له عدة تآليف في الطب، كما كان يقدم الأدوية بالمجان لكثير من المرضى بمكة، ظل هكذا حتى وفاته سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م[٨٩].

وقد ساعدت أوقاف السلاطين والملوك وبعض الموسرين على تدريس الطب والاهتمام به وتطويره؛ والتي ساعدت بلا شك في النهوض بالبيمارستان المكي.

والبيمارستان المستنصري كان يستقبل كل الحالات التي كانت تأتي إليه من ربوع مكة، بل وتبارى في نقل الحالات إلى البيمارستان الكثير من أهلها وسكانها، فقد ذكر الفاسي أن عيسى بن يحيى الريغي المغربي المالكي كان يقوم أثناء قيامه بمكة بجمع المرضى والطرحاء بالشوارع إلى البيمارستان المكي للعلاج، وأنه ظل يفعل ذلك حتى وفاته سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م[٩٠].

ومن الجدير بالذكر أن البيمارستان المكي قد نال الكثير من الرعاية إبان الحكم المملوكي بالحجاز، ما كفل له الاستمرار في تقديم خدماته على أكمل وجه، فقد ذكرت المصادر أن السلطان قانصوه الغوري قام سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩ بعمارة

البيمارستان عمارة حسنة، وذلك عندما أرسل معماره خاير بك إلى الحجاز بصحبة جماعة من المهندسين والبنائين؛ لتبليط المارستان، وتجديد عمارته، وتم له ذلك[٩١]، وظل البيمارستان المستنصري يؤدي رسالته حتى عوض بمارستان الطائف[٩٢].

-البيمارستان المستنصري بالمدينة المنورة:

لم يقتصر وجود البيمارستانات على مكة المكرمة بل وجدت أيضا بالمدينة المنورة ، فقد وجد بها البيمارستان المستنصري والذي يقع بالجهة الشمالية الشرقية من المسجد النبوي موضع دار أبو الغيث ابن المغيرة، وقد بناه أيضا الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، ورتب له موظفين وأطباء على غرار البيمارستان المكي[٩٣]، وقد عمره الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٢م، حين أرسل مجموعة من البنائين لعمارة المسجد النبوي بعد الحريق الذي تعرض له، وأرسل بصحبتهم طبيبا ومعه أدوية كثيرة، وتم تجديد المارستان، ونقلت إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة صحبة الوفد السلطاني[٩٤].

ولقد لعبت الأوقاف دوراً كبيراً في الرعاية الصحية بالمدينة المنورة، حيث قامت بدور كبير في تأدية رسالة المارستان المدني؛ حتى يستمر في تأدية رسالته، وكان الإنفاق على شئونه من ريع هذه الأوقاف التي ساهمت في توفير احتياجاته السنوية من حطب وزيوت للإضاءة، وتوفير اللحوم والأطعمة للمرضى، وكذا توفير الأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها من أدوات النظافة[٩٥].

ومما يدل على ازدهار البيمارستان المستنصري بالمدينة المنورة خلال العصر المملوكي وأنه كان مليئا بالأطعمة والأشربة، ما ذكره ابن فرحون من أن أمير المدينة كان يستدين في كثير من الأوقات من بيمارستان المدينة أيام الشدة الحبوب والتمر؛ ليوزعها على الفقراء، ثم يسد هذا الدين وقت الرخاء[٩٦].

أما بالنسبة إلى إدارة البيمارستان وتنظيمه فلا يستبعد البحث كونه مثل بيمارستان مكة خاصة وأن منشئه هو الخليفة المستنصر بالله العباسي صاحب بيمارستان مكة فمن المرجح أن يكون نظمه ورتب شئونه على غرار بيمارستان مكة.

كما ازدهرت بالبيمارستان المدني دراسة الطب، لذلك قدم خدمات طبية ممتازة، كما قدم رعاية صحية حقيقية لأهل المدينة ومجاوريها وزائريها حتى أواخر العهد المملوكي[٩٧].

ولم يكن بيمارستان المدينة مهتما بعلاج المرضى وفقط مثله مثل باقي البيمارستانات الإسلامية، بل كان مدرسة للطب، حيث كان يجمع رئيس الأطباء به المرضى ويستعرض معهم حالات المرضى وخدمتهم، وكثيرا ما كان ينصحهم بالرفق معهم، كما يلفت أنظارهم إلى معرفة فائدة كل دواء وكيفية الاستعاضة بدواء آخر بديل في حالة عدم توفره بالبيمارستان، كما كان يوجههم إلى مراعاة النظام الغذائي لكل مريض ومواعيد دوائه[٩٨]، ومن أبرز الأطباء الذين اشتهروا بالبيمارستان المدني، الطبيب محمد بن حسين بن رستم، الذي ذكره ابن فرحون بقوله:" الفقيه الفاضل، الذي اشتغل وبرع بالطب في البيمارستان المدني[٩٩]، كما وجد من الأطباء أبو علي الحسن الحجام، الذي عالج الكثير من المرضى بالمارستان المدني بدون مقابل، وكان مهتما بحال المرضى وشئونهم[١٠٠]، كما وجد الطبيب شهاب الدين

مرشد الغاري، الذي كان بارعا بالطب بالمارستان، وظل به حتى وفاته سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م[١٠١]، كما عمل الطبيب الماهر محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي ببيمارستان المدينة فترة كبيرة ومكث به حتى وفاته سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م[١٠٢]، كذلك عمل بالمارستان المدني أبو علي بن فرحوص التلمساني المغربي، وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وأدى خدمات جليلة به[١٠٣].

فضلاً عن ذلك فقد امتدت الرعاية الصحية بالمدينة المنورة إلى خارج البيمارستان المدني، حيث ذكر ابن فرحون أن عز الدين البدري المجاور كانت له دارا بالقرب من الحرم المدني يعد فيها للمرضى أنواعا من الأدوية والأغذية والأشربة، فكان لا يمرض فقير أو مجاور إلا ويحمل إليه لمداواته، وكان لا يوصف له دواء إلا اجتهد في العثور عليه، وظل هكذا حتى وفاته سنة٧٣٤هـ/١٣٣٣م[١٠٤].

البيمارستان المستنصري المكي	البيمارستان المستنصري المدني
-تم أنشاؤه سنة ٦٢٨هـ على يد الخليفة المستنصر بالله العباسي، شمال المسجد الحرام قرب باب الزيارة.	**-تم أنشاؤه سنة ٦٢٧هـ على يد الخليفة المستنصر بالله العباسي شمال شرق المسجد النبوي.**
-أوقف الأمير بكتمر الساقي سنة ٧٥٦هـ على مصالحه أراض زراعية بمصر.	**-عمره الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ عمارة حسنة، حيث أرسل مجموعة من البنائين وبصحبتهم طبيبا ومعه كثير من الأدوية والمعاجين والأكحال والأشربة.**
- جدده الأشرف شعبان سنة ٧٧٧هـ، وأوقف عليه أوقافا سنوية بلغت ثمانية وعشرون ألف درهم.	
-أوقف عليه الشريف حسن بن عجلان أراض زراعية بمكة وغلة بدار الإمارة تصرف على مصالحه.	

-أوقف محمد بن الشهاب المجاور على مصالحه أراض بالحجاز قد أشتراها، أوائل القرن التاسع الهجري.	
-أوقف عليه الأشرف برسباي سنة ٨٢٧هـ أراض زراعية بمصر والشام على مصالحه	
-زاد فيه المجاور عمر الواسطي جناحا خاصا بحفظ جثث الموتى وعمره سنة ٨٣٢هـ.	
-أوقف المجاور المغربي محمد بن عبدالرحمن على مصالحه أماكن مزروعة بمكة.	
-عمره السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٥هـ عمارة حسنة وجدد بلاطه.	

جدول يوضح أوقاف وعمارة البيمارستان (المكي والمدني):

من هذا الجدول يتضح لنا أن أن إنشاء الخليفة المستنصر بالله البيمارستان المدني قد سبق إنشاءه البيمارستان المكي بسنة واحدة ولم تذكر المصادر سببا لذلك؛ لكن يستنبط البحث ربما مرجع ذلك لتفشي بعض الأوبئة بالمدينة أو وقوع بعض الكوارث، كما ظهر في هذا الجدول اهتمام سلاطين المماليك وأمرائهم وأشراف مكة ومجاوريها بعمارة البيمارستان المكي والوقف عليه دون الاهتمام بالبيمارستان المدني؛ ومرجع ذلك لكثرة الوافدين عليه في موسم الحج؛ فضلا عن كثرة سكانه ومجاوريه إذا ما قورن بالبيمارستان المستنصري المدني.

ومما سبق يتضح لنا الدور الذي قام به البيمارستان في الرعاية الصحية والطبية ببلاد الحجاز حيث قدم الرعاية الصحية الكاملة لمرضى الحجاز قاطبة، وكذلك للمجاورين للحرم المكي والمدني، فضلا عن الحجيج بشتى أجناسه، وبين البحث تطور الرعاية الصحية ببيمارستاني الحجاز وظهر ذلك في وجود أقسام للمرضى: كقسم الأمراض الباطنية، وقسم للجراحة، وقسم للكحالين، وبين البحث وجود أمهر

الأطباء وقيامهم بامتهان الطب وتعليمه بالبيمارستان، ووضح البحث كيف كان للبيمارستان ملحقات تخدمه وخدمة وشرابخاناه تقدم الدواء للمرضى بالمجان، ولا شك أن هذا يبرهن على تقدم الرعاية الصحية في هذه الفترة.

الهوامش:

(١) البيمارستان: كلمة فارسية معربة مركبة من كلمتين،(بيمار)، وتعني مريض أو ضعيف و(ستان)، بمعنى مكان، فهي بذلك تعني مكان المرضى أو دار المرضى، وقد اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. الجوهري(نصر إسماعيل بن حماد، ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م): تاج اللغة وصحاح العربية، (في الصحاح)، تحقيق عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٩م، ج٣، ص٩٧٨؛ أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، الطبعة الثانية، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٣.

(٢) عبدالوهاب مصطفى ضاهر: عمارة المجمعات والمباني الطبية(البيمارستانات في الإسلام)، منشورات موقع الألوكة، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، المجلد العاشر، ص ١٤.

(٣) وعندما أصابت الكوارث هذه البيمارستانات هجرها المرضى إلا المجانين حيث لم يكن لهم مكان سواها فأصبحت الكلمة مرتبطة بهؤلاء المرضى فقط .أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص٣؛ عبدالوهاب مصطفى: عمارة المجمعات والمباني الطبية،ص ١٢.

(٤) الفاسي(تقي الدين محمد بن أحمد، ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٥٣٨.

(٥) البخاري(محمد بن إسماعيل، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): صحيح البخاري، كتاب الطب، حديث رقم (٥٦٧٨)، ص١٤٤١.

(٦) السخاوي(شمس الدين محمد، ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٥؛ السمهودي(نور الدين علي بن أحمد، ت٩١١هـ/١٥٠٥م): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق خالد عبد الغني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٢، ص١٩٥؛ أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، دار الرائد العربية، بيروت، ١٩٨١م ، ص١٠-١١.

(٧) أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٦٧.

(٨) ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي، ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م): عيون الأنباءفي طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار،ج١، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٦٠.

(٩) لقب من ألقاب أرباب الوظائف من طائفة أرباب الخدم في دولة المماليك، ويطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت السلطانية، ومهتار الشرابخاناه هو المتسلم لحواصل الشرابخاناه أو بيت الشراب، وكانت له مكانة عالية وتحت يده غلمان عنده برسم الخدمة، يطلق على كل منهم اسم شراب دار، وكانت الشرابخاناه تشتمل على كثير من أنواع الأشربة وبها كذلك أواني نفيسة. القلقشندي(شهاب الدين أبو العباس أحمد، ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٦م، ج٤، ص ٩؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الطبعة الأولى، دار النهضة، القاهرة، (د.ت)، ج٣، ص ١١٤٥-١١٤٩.

(١٠) محمد محمد أمين: وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري، ملحق بكتاب تذكرة النبيه،ج١، ص٣٠٣.

(١١) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص ١١.

(١٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص٦٥؛ السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، ص١٩٥؛ أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص١٠-١١.

(١٣) الجرائحي: طبيب الجراحة. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، بيروت،١٩٩٠م، ص٥٢.

(١٤) العبدري(أبو عبد الله محمد بن علي، ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م): الرحلة المغربية (رحلة العبدري)، تحقيق محمد الفاسي، المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة، تحقيق محمد حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٠٥؛ محاسن الوقاد:"المحمل المصري في العصر المملوكي، مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، كلية الشريعة، جامعة الملك سعود، (د.ت) ص٣٠.

(١٥) ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد، ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، ١٩٩٧م، ج١، ص٤١١.

(١٦) الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٢١٧.

(١٧) الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٩٦؛ شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٧؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ج٥، ص١٠؛ راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان على الحرمين، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٤م، ص١١٤-١١٥.

(١٨) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٢.

(١٩) ابن إياس(أبو البركات محمد بن أحمد، ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٥م، ج٤، ص١٦٣.

(٢٠) بكتمر الساقي: بكتمر بن عبد الله الركيني الساقي الناصري، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فحظي عنده وجعله ساقيا، بل عينه بعد وفاة طغاي الكبير نائبا على الشام، وكان كريما حكيما خيرا محبوبا من السلطان والناس، وله عمائر حسنة بمصر والشام. ابن تغري بردي(أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عاشور، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٥.

(٢١) حجة وقف بكتمر الساقي، المؤرخة سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، حجة رقم (٣٦)، محفظة (١٠)، دار الوثائق القومية، القاهرة، سطر ٢٣- ٢٥.

(٢٢) هو الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني، من أهل بونة من أعمال قسطنطينة شرق الجزائر حاليا، جاوربمكة. النهروالي(قطب الدين محمد، ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م): الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق هشام عطا، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة، ١٩٩٧م، ص٢٠٣.

(٢٣) النهروالي: الإعلام، ص ٢٠٤.

(٢٤) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٩٦؛ شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٧؛ العقد الثمين، ج٤، ص١١٥؛ ابن فهد(عبد العزيز بن عمر، ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، الطبعة الأولى، دار المدني، جدة، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٩٣؛ النهروالي: الإعلام، ص٢٢٤؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة،الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٢م، ص٦٠٦.

(٢٥) ابن فهد(نجم الدين عمر، ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت وعبد الكريم بن باز، الطبعة الأولى، السعودية، ١٩٨٨م، ج٣، ص٥٠٧-٥٠٨؛ الغازي(عبد الله بن محمد، ت١٣٦٥هـ/١٤١٣م): إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق عبد الملك بن دهيش، الطبعة الأولى، مكة، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٥٧٧.

(٢٦) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ١١٥.

(٢٧) حجة وقف الأشرف برسباي المؤرخة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م،رقم الوثيقة(٨٨٠ج)، أوقاف القاهرة، سطر ١٧٩

(٢٨) هو أحمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الخراز، جاور بمكة، وتوفي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. السخاوي(شمس الدين محمد، ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٦٨.

(٢٩) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٩.

(٣٠) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٣١) السبكي(تاج الدين عبدالوهاب، ت٧٧١هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٦٤.

(٣٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٤.

(٣٣) هو محمد بن علي بن محمد بن علي الشمي القدسي الرباطي، نزيل مكة، وشيخ رباط ربيع، والبيمارستان المستنصري، توفي سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م. ابن فهد: الدر الكمين، ص٢٣١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٢٢.

(٣٤) هو محمد بن سالم بن محمد البلدي، شيخ المارستان بمكة، كان ذا مال كثير، وتوفي سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م. ابن فهد: الدر الكمين، ج١، ص١٤٢.

(٣٥) ابن فهد: الدر الكمين، ص١٤٢.

(٣٦) إبراهيم بن محمد بن مصلح، برهان الدين العراقي الأصل، المكي المولد نشأ بمكة، وعرف بالدين والأمانة والتودد للناس، فركن إليه بعض الأثرياء وأعطوه الأموال يفرقها في المحتاجين والفقراء، وتوفي سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. ابن فهد: الدر الكمين، ص ٦٢٢؛ السخاوي: الضوء، ج١، ص١٦٧.

(٣٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٦٧.

(٣٨) إبراهيم بن محمد برهان الدين الكردي المكي، نزيل الحرمين، ومؤدب الأطفال بمكة، وله شهرة بالصلاح والخير، توفي سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، ودفن بالمعلاة. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص ١٧٠.

(٣٩) ابن فهد: الدر الكمين، ج١، ص ٦٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص ١٧٠.

(٤٠) وهو الذي يحكم على الأطباء، ويأذن لهم في ممارسة التطبيب. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٧.

(٤١) السبكي: معيد النعم، ص ١٣٣.

(٤٢) السبكي: معيد النعم، ص ١٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٧.

(٤٣) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٤.

(٤٤) ابن الحاج (أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي، ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م): المدخل إلى الشرع الشريف على المذاهب، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ت)، ج٤، ص١١٢، ص١٣٤-١٣٧؛ ابن الأخوة(محمد بن أحمد القرشي، ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٥٣-٢٦٠.

(٤٥) ابن حجر العسقلاني(الحافظ شهاب الدين أحمد، ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج٤، ص ١٩٠.

(٤٦) ابن سباط (حمزة بن شهاب الدين أحمد، ت٩٢٦هـ/١٥١٩م): صدق الأخبار "تاريخ ابن سباط" تحقيق عمر تدمري، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٣م، ج١، ص ٤٥٠.

(٤٧) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص ٢٦٨.

(٤٨) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٧١.

(٤٩) الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٤١٠.

(٥٠) أبو عثمان المغربي: هو سعيد بن عبد الله بن محمد الزواوي المليانى، جاور بمكة سنين، وكان مشهورا
بالطب بين أهل مكة، وتوفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص ٧١.

(٥١) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص ٧١.

(٥٢) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٩م، ج٢، ص ٣٤٦

(٥٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٣٣.

(٥٤) ابن فهد: الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق عبد الملك بن دهيش، الطبعة الأولى، دار خضر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٣٢.

(٥٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٣٤٩.

(٥٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج١، ص ٣٠٩.

(٥٧) عبدالوهاب مصطفى: عمارة المجمعات والمباني الطبية، ص ١٢٩.

(٥٨) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٢٩٨.

(٥٩) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٤.

(٦٠) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٦٦.

(٦١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص ١٥٥.

(٦٢) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٣.

(٦٣) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٣.

(٦٤) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٣.

(٦٥) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٣.

(٦٦) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٤.

(٦٧) ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٧٢.

(٦٨) ابن الأخوة: معالم القربة، ص ٢٥٨– ٢٥٩ .

(٦٩) هو البيمارستان المنصوري الكبير أو دار الشفاء، ويقال له مارستان قلاوون، ويقع بالقاهرة مكان قاعة للسيدة الشريف ست الملك ابنة العزيز بالله الفاطمي، بناه الملك المنصور قلاوون سنة

٦٨٣هـ/١٢٨٤م بواسطة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وقيل في سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، أصابه بدمشق قولنج عظيم، فعالجه الأطباء بأدويةأخذت من مارستان نور الدين محمود بدمشق فبرأ، وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به، ونذر إن أتاه الله الملك أن يبني مارستانا فلما تسلطن أوفى بنذره، وقد رتب في هذا المارستان الأطباء والأدوية، ونظمه إداريا ورتب شئونه. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٦٩-٣٧٠؛ المقريزي(تقي الدين أحمد، ت٨٥٤هـ/١٤٤١م): المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والأثار(الخطط المقريزية)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، (د . ت)، ج٢، ص ٤٠٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٣٥٣.

(٧٠) عبد الوهاب مصطفى: عمارة المجمعات والمباني الطبية، ص ١٢٩.

(٧١) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٩٦؛ شفاء الغرام، ج١، ص٣٣٧؛ العقد الثمين، ج٤، ص١١٥؛ عبد العزيز: ابن فهد: غاية المرام، ج٢، ص٢٩٣؛ النهروالي: الإعلام، ص٢٢٤؛ عارف عبد الغني: تاريخ أمراء مكة، ص٦٠٦.

(٧٢) هو أحمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الخراز، جاور بمكة، وتوفي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. السخاوي:الضوء اللامع، ج١، ص٢٦٨.

(٧٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٩.

(٧٤) راشد القحطاني: أوقاف الأشرف شعبان، ص ١١٣.

(٧٥) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٢٠.

(٧٦) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٢١؛ علي السيد علي: الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، بحث منشور بالمجلة المصرية التاريخية الصادرة عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ٣٨-١٩٩١-١٩٩٥م، ص ١٤١.

(٧٧) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤، ص ١٩٠.

(٧٨) ابن سباط : تاريخ ابن سباط، ج١، ص ٤٥٠.

(٧٩) الفاسي: العقد الثمين، ج٨، ص٧١.

(٨٠) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص ٣٤٦.

(٨١) هو أحمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الخراز، جاور بمكة، وتوفي سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٦٨.

(٨٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٢٩.

(٨٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٢٩٨.

(٨٤) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص ٣٠٤.

(٨٥) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٠٧-٥٠٨؛ الغازي: إفادة الأنام، ج٢، ص٥٧٧.

(٨٦) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص ٥.

(٨٧) ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٢٧.

(٨٨) هو محمد بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق الأبرقوهي الشيرازي، المعروف بالكتبي وبالطبيب، جاور بمكة ثلاثين سنة على خير وعبادة، له معرفة بالطب، وينسب إليه عمارة رباط شاه شجاع بمكة، توفي سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م. الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٤١٠

(٨٩) ابن حجي (أبي العباس أحمد بن حجي السعدي، ت٨١٦هـ/١٤١٣م): تاريخ ابن حجي، تحقيق عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٥٦٩-٥٧٠؛ الفاسي: العقد الثمين، ج١، ص ٤١٠.

(٩٠) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص٤٧٢.

(٩١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٩٥.

(٩٢) وينبغي الإشارة إلى أن البيمارستان المستنصري المكي ظل بمكة حتى تولية الأمير عبد الله الفيصل وزارة الصحة السعودية، حيث أمر بإقامة مشفى حديث للمجاذيب بالطائف؛ حيث الجفاف والمناخ الصحي، عوضا عن البيمارستان المستنصري، ونقل كل أدوات ومرضى وأطباء البيمارستان المستنصري إليه، ومكان البيمارستان الآن عمارة سمو الأمير السعودي مشعل بن عبد العزيز، وبها فندق خوقير الذي بأجياد أمام باب الملك عبد العزيز آل سعود. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص ٣٣٧؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٣٦.

(٩٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص ٦٥.

(٩٤) ابن شداد(عز الدين محمد، ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): تاريخ الملك الظاهر بيبرس، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ١٩٨٣مص ٣٠٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٧، ص ١٧٠؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج١، ص٤٥٠؛ محمد عبد الهادي الشيباني: أوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها، (د.م)، (د.ت) ص ٧١٨؛ محمد هزاع: عمارة المسجد النبوي حتى نهاية العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٣٥؛ عماد الدين غانم: الملك الظاهر بيرس، ص ١٣٠.

(٩٥) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩٤.

(٩٦) ابن فرحون(عبد الله بن محمد، ت٧٦٩هـ/١٣٦٧م): نصيحة المشاور وتعزية المجاور، تحقيق حسين شكري، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ، ص ١٨٨.

(٩٧) ابن فهد: الدر الكمين، ص ١١٦.

(٩٨) ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٦٨.

(٩٩) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ١٨٣.

(١٠٠) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٠٠.

(١٠١) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص ٢٣.

(١٠٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٦٧٤.

(١٠٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٢٤٥.

(١٠٤) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص٥٢-٥٣.